

باب

قال أبو العباس: حَدَّثَنِي مَسْعُودُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَسَاهُ حُلَّةً وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ ابْنُ أُمِّي، وَكَانَ أَبُوهُ يَرْحَمُنِي^(١).

**

قال^(٢): وَأَنْشَدَنِي مَسْعُودٌ قَالَ: أَنْشَدَنِي طَاهِرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: أَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ بْنِ أَدِّ يَقُولُهُ لِبَنِي تَمِيمٍ بْنِ مُرٍّ بْنِ أَدِّ:

أَبْنِي تَمِيمٍ إِنِّي أَنَا عَمُّكُمْ لَا تُحْرَمَنَّ نَصِيحَةَ الْأَعْمَامِ
إِنِّي أَرَى سَبَبَ الْفَنَاءِ وَإِنَّمَا سَبَبُ الْفَنَاءِ قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ
فَتَذَارَكُوا بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتُمْ أَرْحَامُكُمْ بِرَوَاجِحِ الْأَحْلَامِ^(٣)

**

(١) بعده في زيادات ر: «الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه». وأنها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأم عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

ونقل ابن حجر في الإصابة ٣٠٨/٢ هذا الخبر عن الميرد في هذا الكتاب (الكامل).

(٢) ليس في روج.

(٣) بعده في زيادات ر: «كذا أنشد أرحامكم ويروى أحبابكم».

وَيُرَوَى أَنَّهُ لَمَّا أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ خَيْرٌ^(١) قَتَلَ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ خَطْبَ النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ أَتَانَا خَيْرٌ قَتَلَ الْمُضْعَبَ فَسُرَرْنَا بِهِ^(٢)، وَكُتِبْنَا لَهُ^(٣)، فَمَا السُّرُورُ فَلَمَّا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ، وَحَيَّرَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَمَّا الْكَابَةُ فَلَوْعَةٌ يَجِدُهَا الْحَمِيمُ عِنْدَ فِرَاقِ حَمِيمِهِ، وَإِنَّا [١/٧٠] وَاللَّهِ مَا نَمُوتُ حَبَجًا كَمَيْتَةِ آلِ أَبِي الْعَاصِي، إِنَّمَا نَمُوتُ وَاللَّهِ قَتْلًا بِالرَّمَاكِ، وَقَعْصًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، فَإِنَّ يَهْلِكِ الْمُضْعَبُ فَإِنَّ فِي آلِ الزُّبَيْرِ مِنْهُ خَلْقًا.

قوله: «حَبَجًا»، يُقَالُ حَبَجَ بَطْنُهُ: إِذَا انْتَفَخَ، وَكَذَلِكَ حَبَطَ بَطْنُهُ. وَ«الْمُقْعَصُ»: الْمَقْتُولُ^(٤). وَاللُّوْعَةُ: الْحُرْقَةُ، يُقَالُ: لَاعَ يَلَاعُ لَوْعَةً يَا فَتَى فَهُوَ لَائِعٌ، وَيُقَالُ: لَاعَ يَا فَتَى عَلَى الْقَلْبِ^(٥)، وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ^(٦):
وَلَا فَرِحَ بِخَيْرٍ إِنْ أَتَاهُ وَلَا جَزَعٍ مِنَ الْحَدَثَانِ لَاعِي^(٧)

**

قال: وحدثني مسعود^(٨) في إسناد ذكره، قال: قال زياد لحاجبه: يا عَجْلَانُ، إِنِّي وَلَيْتِكَ هَذَا الْبَابَ، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعَةٍ، عَزَلْتُكَ عَنْ هَذَا الْمَنَادِي إِذَا دَعَا لِلصَّلَاةِ فَلَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهِ، وَعَنْ طَارِقِ اللَّيْلِ فَشَرُّ مَا جَاءَ بِهِ وَلَوْ جَاءَ بِخَيْرٍ مَا

(١) ليس في الأصل وف وظ وهو وج.

(٢) ليس في الأصل وف وظ.

(٣) ليس في الأصل وف وظ وهو وج.

(٤) في ج: «وَالْقَعْصُ الْقَتْلُ». وَهُوَ أَنْسَبُ.

(٥) في الأصل: يَأْتِي عَلَى الْقَلْبِ.

(٦) في النوادر ٦ لمرداس بن حصين من بني عبد الله بن كلاب وهو جاهلي.

(٧) بهامش الأصل ما نصه: «هُوَ مُرْدَاسُ بْنُ حَصِينٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَلَّابِ جَاهِلِيٍّ. وَقَبْلَهُ:

وَقَدْ تَرَكَ الْفُؤَارِسَ يَوْمَ جَنْبِي غَلَامًا غَيْرَ مَنَاعِ الْمَتَاعِ

وَلَا فَرِحَ.. الْبَيْتُ أَهْدُ. وَكَانَ فِيهِ «حَسَى»

(٨) في ف: مسعود بن بشر.

كُنْتُ مِنْ حَاجَتِهِ، وَعَنْ رَسُولِ صَاحِبِ الثُّغْرِ فَإِنْ إِنْطَاءَ سَاعَةٍ يُفْسِدُ تَدْبِيرَ سَنَةٍ، وَعَنْ هَذَا الطَّبَّاحِ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ.

قال: ^(١) وحدثني مسعود قال: قال زياد: يُعْجِبُنِي مِنَ الرَّجُلِ إِذَا سَبَّ حُطَّةَ الضَّمِيمِ أَنْ يَقُولَ: «لَا» بِمَلْءِ فِيهِ ^(٢)، وَإِذَا أَتَى نَادِي قَوْمٍ عَلِمَ أَيْنَ يَنْبَغِي لِمِثْلِهِ [١٧٠] أَنْ ^(٣) يَجْلِسَ فَجَلَسَ، وَإِذَا رَكِبَ دَابَّةً حَمَلَهَا عَلَى مَا تُحِبُّ وَلَمْ يَتَعَنَّهَا عَلَى ^(٤) مَا تَكْرَهُ.

**

وَكُتِبَ إِلَى جَعْفَرٍ ^(٥) بِنِ يَحْيَى: إِنْ صَاحِبَ الطَّرِيقِ قَدْ أَشْتَطَّ فِيمَا يَطْلُبُ مِنَ الْأَمْوَالِ. فَوَقَعَ جَعْفَرٌ: هَذَا رَجُلٌ مُنْقَطِعٌ عَنِ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ ذُوْبَانِ الْعَرَبِ بِحَيْثُ الْعَدُوُّ وَالْعُدَّةُ، وَالْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ وَالْأَنْوْفُ الْحَمِيَّةُ، فَلْيُمَدِّدْ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَسْتَضِلُّ بِهِ مَنْ مَعَهُ لِيُدْفَعَ بِهِ عَدُوَّهُ، فَإِنْ نَفَقَاتِ الْحُرُوبِ يُسْتَظْهَرُ لَهَا، وَلَا يُسْتَظْهَرُ عَلَيْهَا.

وَأَكْثَرَ النَّاسِ شَكِيَّةً عَامِلٍ فَوَقَعَ إِلَيْهِ فِي قِصَّتِهِمْ ^(٦): يَا هَذَا، قَدْ ^(٧) كُتِرَ شَاكُوكَ ^(٨)، فَإِنَّمَا عَدَلْتُ، وَإِنَّمَا اعْتَرَلْتُ.

وزعم ^(٩) الجاحظ قال ^(١٠): قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أُشْرَسَ النَّمِيرِيُّ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا

(١) ليس في روج وهـ.

(٢) في ج وهـ: أَنْ يَقُولَ بِمَلْءِ فِيهِ: لَا.

(٣) في ج: أَيْنَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ.

(٤) كَذَا فِي ف وَهَامِشِ الْأَصْلِ. وَفِي سَائِرِ النُّسخِ «إِلَى». وَفِي ب وَسِ وَجِ وَهـ: «عَلَى مَا يَجِبُ... إِلَى مَا يَكْرَهُ»

وَفِي جِ وَالْأَصْلِ: «يَتَّبِعُهَا إِلَى»

(٥) فِي جِ وَهـ: وَرَفَعَ إِلَى جَعْفَرِ

(٦) «فِي قِصَّتِهِمْ» مِنْ ر.

(٧) فِي فِ وَظ: «إِنَّهُ قَدْ» وَاسْتَدْرَكَهَا فِي الْأَصْلِ بَيْنَ الْأَسْطُرِ.

(٨) فِي ر: «قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ وَقُلُّ حَامِدُوكَ» وَفِي الْأَصْلِ: «قَدْ كَثُرَ شَاكُوكَ وَتَوَارَدَتْ مُتَطَلَّمُوكَ».

(٩) فِي ج: وَذَكَرَ.

(١٠) انظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبَيَّنَ ١١٥/١.

أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون^(١).

وقال مؤنس بن عمران^(٢): ما رأيت رجلاً أبلغ من يحيى بن خالد، وأيوب ابن جعفر.

وقال جعفر بن يحيى لكتابه^(٣): «إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَكُونَ كُتُبِكُمْ كُلُّهَا تَوْقِيعَاتٍ^(٤) فَأَفْعَلُوا».

*
**

وقال رسول الله ﷺ: «لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغْتُمْ»^(٥)، يقول: لو عَلِمَ بعضكم [٢/٧٠] سريرة بعضٍ لاسْتَقْتَل تَشِييعَهُ وَدَفَنَهُ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَجْتَبَيْتُوا الْقُعُودَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ، إِلَّا أَنْ تَضْمَنُوا أَرْبَعًا: رَدَّ السَّلَامِ، وَغَضَّ الْأَبْصَارِ، وَإِزْشَادَ الضَّالِّ، وَعَوْنَ الضَّعِيفِ»^(٦).

(١) قوله: «والمأمون» ليس في ج، ولعل الوجه حذفها لأن ثمامة لم يذكر المأمون، وعبارة الجاحظ: «وكان ثمامة يقول: لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد. وكان سهل بن هارون يقول: لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين».

وفي ج وهامش ي: «جعفر بن يحيى بن خالد».

(٢) انظر البيان والتبيين ١/١١٥.

(٣) انظر البيان والتبيين ١/١١٥ وفيه: «قال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه الخ».

(٤) قال الأزهري: توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجعل بين تضاعيف سطوره، مقاصد الحاجة ويحذف الفضول. انظر اللسان (وقع).

(٥) انظر البيان والتبيين ٢/٢٣، ونثر الدر ١/١٩٥، والنهاية ٤/١٧٦، واللسان (كشف، دفن). وفي شرح نهج البلاغة ٤/٥٤٧ أنه من كلام علي كرم الله وجهه.

(٦) الحديث أخرجه مسلم في كتاب اللباس برقم ٢١٢١ من حديث أبي سعيد الخدري، ولفظه: «إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله، ما لنا من بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ: فإذا أبيتُم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حقه؟ قال: غَضُّ البصر وكَفَّتْ الأذى وردَّ السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وأخرجه البخاري في كتاب المظالم برقم ٢٤٦٥، وكتاب الاستئذان برقم ٦٢٢٩. وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١/٣٩٣ برقم ٢٩٠٠.

وهو بنحو مما أورده المبرد في البيان والتبيين ٢/٢١، ونثر الدر ١/١٥٢، ١٩٥.

وقالت هند بنت عتبة: إنما النساء أغلال، فليختر الرجل غلاً ليده.
وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت: ما زيين بشيء كاذب
بارع تحته لب ظاهر.

وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة^(١): إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا
بالشكر قبل حلول الزوال.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفصلوا بين حديثكم
بالاستغفار»^(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: قيدوا النعم بالشكر، وقيدوا العلم
بالكتاب^(٣).

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: العجب لمن يهلك والنجاة
معه، فقيل: ما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: الاستغفار.

وقال الخليل بن أحمد: كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على
حفظ ما في كتبتك.

وقال الخليل بن أحمد^(٤): اجعل ما في كتبتك رأس مال^(٥)، وما في
صدرك للنفقة.

وقيل لنصر بن سيار: إن فلاناً لا يكتب، فقال: تلك الزمانة^(٦) الخفية.

(١) في ف: أيضاً.

(٢) انظر البيان والتبيين ٢/٢١، ونثر الدر ١/١٩٥.

(٣) انظر نثر الدر ٢/١٢٣. وروي قوله «وقيدوا العلم بالكتاب» على أنه من الحديث انظر نثر الدر ١/١٥٣،

وكشف الحفاء ١/١١٩ وفيه أنه من كلام أنس رضي الله عنه. وفي ج: والعلم بالكتاب.

(٤) في ر والأصل: «وقال ابن أحمد يعني الخليل». وفي ج: «وقال أيضاً».

(٥) في الأصل: المال.

(٦) الزمانة: الأفة والعامه.

وقال نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ: لَوْلَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ كَانَ بَدْوِيًّا مَا ضَبَطَ أَعْمَالَ
العِراقِ، وَهُوَ لَا يَكْتُبُ.

وفادى رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ رَأَى فِدَاءَهُ مِنْ أُسْرَاءِ^(١) بَدْرٍ،
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِدَاءٌ أَمْرَهُ أَنْ يُعَلَّمَ عَشْرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْكِتَابَةَ^(٢)، فَفَشَّتِ الْكِتَابَةُ
بِالْمَدِينَةِ.

**

ومن أمثال العرب: «خَيْرُ الْعِلْمِ مَا حُوْضِرَ بِهِ»^(٣). يقول: مَا حُفِظَ فَكَانَ [١٧١]
لِلْمَذَاكِرَةِ.

وقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَزَالُ أُمَّتِي صَالِحًا أَمْرُهَا مَا لَمْ
تَرَ الْفِيءَ مَغْنَمًا، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا^(٤).

وقال عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقْرَبُ
فِيهِ إِلَّا الْمَاجِلُ^(٥)، وَلَا يُظْرَفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُتَنَصِّفُ،
يَتَخَذُونَ الْفِيءَ مَغْنَمًا، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا، وَصِلَةَ الرَّجِيمِ مَنًّا، وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَى
النَّاسِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ سُلْطَانُ النِّسَاءِ، وَمُشَاوَرَةُ الْإِمَاءِ، وَإِمَارَةُ الصُّبْيَانِ^(٦).

**

ويُروى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَشِيرِ بْنِ الْأَجْدَعِ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ

(١) فِي فِ وَأَوْبِ وَظ: «أَسَارِي» فِي سِ وَدِ وَي: «أَسْرِي».

(٢) فِي جِ وَف: «الْكِتَابَةُ».

(٣) انظر أمثال أبي عبيد ١٠١، وجمهرة الأمثال ٤١٣/١، وجمع الأمثال ٢٤١/١، والمستقصى ٧٨/٢. ويروى
خير الفقه ما حاضرت به.

(٤) انظر نثر الدر ١٩٥/١.

(٥) فِي جِ: «إِلَّا الرَّجُلَ الْمَاجِلَ».

(٦) بَعْدَهُ فِي زِيَادَاتِ ر: «الْمَاجِلُ: الْوَأَشِي، يُقَالُ مَجَلُ فُلَانٍ بِفُلَانٍ إِذَا وَشَى بِهِ وَمَكَرَ».

الحجاج [١/٧١] أَرَادَ مَرْدَ بِنِ الْهَرِيدِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُسْتَخْرِجَ مِنْهُ وَأُعَلِّظَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقْتُ بِهِ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ لَكَ شَرْفًا وَدِينًا، وَإِنِّي لَا أُعْطِي عَلَى الْقَسْرِ شَيْئًا فَاسْتَأْذِنِي^(١) وَأَرْفُقْ بِي، قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَأَدَى إِلَيَّ فِي أُسْبُوعٍ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ^(٢)؛ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ فَأَغْضَبَهُ، وَأَنْتَزَعَهُ مِنْ يَدَيَّ، وَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَتَوَلَّى لَهُ الْعَذَابَ، فَذَقَ يَدِيهِ وَرَجْلِيهِ، وَلَمْ يُعْطِهِمْ شَيْئًا.

قال محمد بن المنتشر: فَإِنِّي لَأَمْرُ فِي السُّوقِ إِذَا صَاحَّ بِي: يَا مُحَمَّدُ، فَالْتَفَتُ فَإِذَا بِهِ مُعْرَضًا^(٣) عَلَى جِمَارٍ^(٤) مَذْقُوقِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ، فَخَفْتُ الْحَجَّاجَ إِذْ أَتَيْتُهُ^(٥) وَتَذَمَّمْتُ مِنْهُ^(٦) فَمِلْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: إِنَّكَ وَلِيْتُ مِنِّي مَا وَلِيَّ هَؤُلَاءِ فَأَحْسَنْتَ، وَإِنَّهُمْ صَنَعُوا بِي مَا تَرَى وَلَمْ أُعْطِهِمْ شَيْئًا، وَهَهُنَا خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ^(٧) عِنْدَ فُلَانٍ، فَخَذَهَا فِيهِ لَكَ؛ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ لِأَخُذَ مِنْكَ عَلَى مَعْرُوفِي أَجْرًا، وَلَا لِأَرْزَأَكَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ شَيْئًا، قَالَ: فَأَمَّا إِذْ أَتَيْتَ فَاسْمِعْ^(٨) أَحَدُنَاكَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ دِينِكَ عَنْ نَبِيِّكَ ﷺ أَنَّهُ^(٩) قَالَ: إِذَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ أَمْطَرَهُمُ الْمَطَرَ فِي وَقْتِهِ، وَجَعَلَ الْمَالَ فِي سُمَحَائِهِمْ^(١٠)، وَأَسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ، وَإِذَا سَخِطَ عَلَيْهِمْ أَسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ، وَجَعَلَ الْمَالَ عِنْدَ بُخْلَائِهِمْ، وَأَمْطَرَهُمُ الْمَطَرَ فِي غَيْرِ حِينِهِ.

(١) أي سألني الأداة.

(٢) في الأصل وج وهـ: خمسمائة ألف درهم.

(٣) في ج: «فإذا أتاه معروضاً، وبها مشها «معروضاً».

(٤) في ج وهـ: بغل. وبها مش هـ: حمار.

(٥) في ج: أن أتته.

(٦) بها مش ج ما نصه: «أخذتني منه مذمة ومذمة حيرة وحرمة وخجل من الذمام».

(٧) في ج وهـ: خمسمائة ألف درهم.

(٨) في الأصل: فاستمع.

(٩) ليس في الأصل وج.

(١٠) في ج: عند سمحائهم.

قال: فانصرفتُ، فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني رسولُ الحجَّاجِ فأمرني بالمصير^(١) إليه، فالفيتَه جالساً على فُرْشِهِ والسيفُ مُتَّصِيٌّ في يده^(٢)، فقال لي: اذُنُ^(٣)، فذَنَوْتُ شيئاً، ثم قال: اذُنُ، فذَنَوْتُ شيئاً، ثم صاح الثالثة^(٤)، اذُنُ لا أبالك! فقلت: ما بي إلى الذنُوِّ من حاجة، وفي يد الأمير ما أرى! فأضحكَ اللهُ سِنَهُ، وَأَعَمَدَ عَنِّي سيفَه^(٥)، فقال لي: أَجْلِسْ، ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير، وَاللَّهِ مَا عَشَشْتُكَ مِنْذُ اسْتَنْصَحْتَنِي، وَلَا كَذَّبْتُكَ مِنْذُ اسْتَخْبَرْتَنِي، وَلَا خُنْتُكَ مِنْذُ ائْتَمَمْتَنِي. ثم حَدَّثْتُهُ الحديثَ، فلما صِرْتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده^(٦) أَعْرَضَ عَنِّي بوجهه، وَأَوْمَأَ إِلَيَّ بيده، وقال^(٧): لَا تَسْمُهُ، ثم قال: إِنَّ لِلخَبِيثِ نَفْساً^(٨)، وقد^(٩) سَمِعَ الأحاديثَ.

[١٧٢]

ويقال: كان الحجَّاجُ إذا^(١٠) اسْتَفْرَبَ ضَجِكَاً وَالْيَ بَيْنَ الاستغفار، وكان إذا صَعِدَ الْمَنْبَرَ تَلَفَعَ بِمِطْرَفِهِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ رُوَيْدًا فَلَا يَكَادُ يُسْمِعُ ثُمَّ يَتَزَيَّدُ فِي الْكَلَامِ، [٢/٧١] حَتَّى يُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ مِطْرَفِهِ^(١١)، وَيَزْجُرُ الرَّجْرَةَ فَيُقْرِعُ بِهَا أَقْصَى مَنْ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ يُطْعِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى أَلْفٍ^(١٢) مَائِدَةً عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ ثَرِيدٌ وَجَنْبٌ مِنْ شِوَاءٍ وَسَمَكَةٌ طَرِيَّةٌ، وَيُطَافُ بِهِ فِي مِحْفَةٍ عَلَى تِلْكَ الْمَوَائِدِ لِيَتَفَقَّدَ أُمُورَ النَّاسِ،

(١) في ر: بالمسير.

(٢) في ي ود: بيده.

(٣) في ج: اذنه، وكذا في الموضع الآخر.

(٤) في ج: صاح بي في الثالثة، وفي هـ: صاح في الثالثة وقال.

(٥) في ر وف: سيفه عني.

(٦) في ف وج: عنده المال.

(٧) في الأصل: وأوما إليَّ بيده أن أكف وقال.

(٨) في ج وهـ: لنفساً.

(٩) في ج: ولقد.

(١٠) في ج: ويقال إن الحجَّاج كان إذا.

(١١) في الأصل: المطرف.

(١٢) في ج وهامش هـ: مائة.

وعلى كل مائة عشرة، ثم يقول: يا أهل الشام، اكسروا الخبز لثلاً يُعاد عليكم.
وكان له ساقبان أحدهما يسقي الماء والعسل، والآخر يسقي اللبن^(١).

ويروى^(٢) أن لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ^(٣) قدمت عليه فأنشدته:

إذا وردَ الحجاجُ أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العقم^(٤) الذي بها غلامٌ إذا هزّ القناة ثناها^(٥)

فقال^(٦): لا تقولي: غلامٌ، قولي^(٧): همامٌ؛ ثم قال لها: أي نسائي أحبُّ إليك أن أنزلك عندها الليلة^(٨)؟ قالت: ومن نسائك أيها الأمير؟ قال أمُّ الجلاس^(٩) بنتُ سعيد بن العاصي الأمويَّة^(١٠)، وهند بنتُ أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنتُ المهلب بن أبي صفرة العبكيَّة، فقالت: القيسية أحبُّ إليّ. فلما كان

(١) وكان له .. اللبن، ليس في ج.

(٢) روى المرزباني هذا الخبر عن محمد بن أبي الأزهر عن المبرد، انظر أشعار النساء ٦١ - ٦٣.

(٣) ديوانها ق ٣/٤٥، ٤ ص: ١٢١. وأشعار النساء ٦١، ٦٦ وتخريجهما فيهما.

(٤) في س وف وه وهامش ي: «العضال» وكذا في أشعار النساء عنه.

(٥) في ج «سقاها» ورواية أشعار النساء عنه «ثناها». و«سقاها» هي رواية الديوان وغيره وأشعار النساء عن غير المبرد.

وكتب بهامش الأصل بحذاء البيت ما نصّه: «هذا دليلٌ على أن المكلف قد يوصف بغلام، ومبينٌ لقوله تعالى ﴿وأما الغلام فكان أبواه﴾، ويروى ذلك عن ابن عباس قال: كان غلام الخضر مستجمع السرّ. نقلت عن نقل من خط مالك بن وهب» اهـ.

وبعد البيت في زيادات ر: «العقم بالفتح والضم والضم أفصح».

(٦) في ر وف: فقال لها.

(٧) في الأصل: وقولي، وفي هـ: ولكن قولي.

(٨) ليس في الأصل.

(٩) في ج: «أم الجلاس» وبهامشها «الجلاس».

(١٠) كذا! وسياق قوله ص ٤٥٢. أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد، وكلاهما خطأ. والصواب أنها أم الجلاس (أو الجلاس) بنتُ سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. انظر أنساب الأشراف ٤/١/٤٥٧، وجمهرة أنساب العرب ١١٣. ولم أجد نصّاً على الجلاس أنه بالحاء أو بالجيم، ووقع في بعض أصول أنساب الأشراف بالحاء وفي بعض بالجيم، ولم يستها ابن حزم. وفي ج ... بنت سعيد الأموية وهو صواب.

العَدُّ دخلت عليه فقال: يا غلامُ أعطِها خمسمائة، فقالت: أيها الأميرُ، اجعلها أدمًا، فقال قائلٌ: إنما أمر لكِ بشيءٍ، قالت: الأميرُ أكرمُ من ذلك، فجعلها إبلاً إناناً استحياءً، وإنما كان أمر لها بشيءٍ أولاً. والأدمُ: البيضُ من الإبل وهي أكرمها^(١).

ويروى عن بعض الفقهاء^(٢) قال^(٣): دعاني الحجاجُ فسألني عن الفريضة المُخَمَّسة وهي أمٌ وأختٌ وجدٌ^(٤)، فقال لي: ما قال فيها الصديقُ رحمه الله؟ قلتُ: أعطى الأمُّ الثلثَ والجدُّ ما بقي، لأنه كان يراه أباً، قال: فما قال فيها أميرُ المؤمنين؟ - يعني عثمان رحمه الله - قلتُ: جعل المالَ بينهم أثلاثاً، قال: فما قال فيها ابنُ مسعود؟ قال: قلتُ: أعطى الأختَ النصفَ والأمُّ ثلثَ ما بقي والجدُّ الثلثين، لأنه كان لا يُفْضَلُ أمًّا على جدٍّ، قال: فما قال فيها زيدُ بنُ ثابت؟ قال قلتُ: أعطى الأمُّ الثلثَ وجعل ما بقي بين الأختِ والجدِّ للذكرِ مثلُ حظِّ الأنثيين، لأنه كان يجعلُ الجدَّ كأحدِ الإخوةِ إلى الثلاث^(٥)، قال: فَرَمَّ بأنفه ثم قال: فما^(٦) قال فيها أبو ترابٍ؟ قال قلتُ: أعطى الأمُّ الثلثَ والأختَ النصفَ والجدُّ السدسَ، قال^(٧): فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه فقال: فإنه المرءُ يُرَغَبُ عن قوله^(٨).

وجلس [١/٧٢] الحجاجُ يوماً يأكلُ ومعه جماعةٌ على المائدة منهم محمدُ بنُ [١٧٣]

(١) في هـ: الأدم الإبل البيض وهي أكرم الإبل. وقوله «والأدم... أكرمها» ليس في ج.

(٢) بعده في زيادات ر: «هو الشعبي».

(٣) في ج وهـ: أنه قال. وبهامش ج: يعني الشعبي. وزاد بهامش هـ: هو الشعبي. وانظر «حديث الشعبي في صفة الغيث وشرحه من كتاب الدلائل» بتحقيق أستاذي العلامة الدكتور شاکر الفحام، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٥٨ ج ٧/١، وانظر المصادر الكثيرة التي أحال عليها. ونقل عن المجلس والأنس للمعاني ٢٨٨/١، أن هذه الفريضة بسميها الفرضيون «الخرقاء».

(٤) في ر وظ: وجد وأخت.

(٥) كذا في الأصل وهو الصواب، يعني بالثلاث الأخوات. وفي سائر النسخ «الثلاثة». ووقع في ج «الثلث» وهو تصحيف.

(٦) في ج وهـ: ما.

(٧) ليس في ر وهـ.

(٨) قال الشيخ المرصفي: «كذب الحجاج». وإنما حملة على ذلك بغضه لأمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه. ومذهبه في الجد هو الحق. رغبة الأمل ١٧٩/٣.

عُمَيْرِ بْنِ عَطَارِدِ بْنِ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ، وَحَجَّارُ بْنُ أَبَجَرَ بْنِ جَابِرٍ^(١) الْعِجْلِيُّ، فَأَقْبَلَ فِي وَسْطِ مِنَ الطَّعَامِ^(٢) عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَطَارِدِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيْدِعُوكَ قَتِيْبَةً بِنُ مُسْلِمٍ إِلَى نُصْرَتِي يَوْمَ رُسْتَقْبَادَ^(٣) فَتَقُولُ: هَذَا أَمْرٌ لَا نَاقَةَ لِي فِيهِ وَلَا جَمَلًا؟ لَا جَعَلَ اللهُ لَكَ فِيهِ نَاقَةً وَلَا جَمَلًا، يَا حَرَسِيَّ، خُذْ بِيَدِهِ وَجَرِّدْ سَيْفَكَ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَنَظَرَ إِلَى حَجَّارٍ^(٤) وَهُوَ يَتَبَسَّمُ، فَدَخَلَتْهُ الْعَصِيْبَةُ، وَكَانَ مَكَانُ حَجَّارٍ مِنْ رَيْبَعَةٍ كَمَكَانِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَيْرِ مِنْ مُضَرَ، وَأَتَى الْحَبَّازُ بِفَرْنِيَّةٍ^(٥) فَقَالَ: أَجْعَلْهَا مِمَّا يَلِي مُحَمَّدًا فَإِنَّ اللَّيْنَ^(٦) يُعْجِبُهُ، يَا حَرَسِيَّ، شِمُّ سَيْفِكَ وَأَنْصَرِفَ.

وكان محمد شريفًا، وله يقول الشاعر:

عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا أَنَّ الْجِسَادَ مُحَمَّدُ بْنُ عَطَارِدِ

وَذُكِرَتْ بَنُو دَارِمٍ يَوْمًا بِحَضْرَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالُوا: قَوْمٌ لَهُمْ حِطٌّ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: أَنْتَقُولُونَ ذَلِكَ وَقَدْ مَضَى مِنْهُمْ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ وَلَا عَقِبَ لَهُ، وَمَضَى الْقَعْقَاعُ ابْنُ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَلَا عَقِبَ لَهُ، وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ عَطَارِدِ وَلَا عَقِبَ لَهُ، وَاللَّهُ لَا تَنْسَى الْعَرَبُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ أَبَدًا^(٧).

قوله: «شِمُّ سَيْفِكَ»، أَعْمَدُهُ، وَيُقَالُ: شِمْتُ السَّيْفَ: إِذَا سَلَلْتَهُ وَهُوَ مِنْ

(١) كذا في الأصل «جابر»، وفي سائر النسخ وهامش الأصل: «بُجَيْر». ووقع كما في الأصل «حجار بن أبجر بن جابر» في النقااض ٣١٦، ونقااض جرير والأخطل ١٤٤. وفي ديوان جرير بشرح ابن حبيب ٢٣٦/١ - ٢٣٧: «حجار بن أبجر بن جابر بن جبيرة». و«بن جبيرة» ليس في ج.

(٢) في الأصل: في وسط الطعام.

(٣) في ج «رُستَقْبَادُهُ» وفي هـ: «رُست قِبَادُهُ» وبهامشها ما نصه: «رُست اسم موضع وقباض هو ملك من ملوك فارس». وضبط في معجم البلدان ٤٣/٣ ضبط قلم «رُستَقْبَادُهُ».

(٤) في ر: حجار بن أبجر.

(٥) الفَرْنِيَّةُ: خِيْزَةٌ مَضْمُومَةٌ الْجَوَانِبِ إِلَى الْوَسْطِ يَسْلُكُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ثُمَّ تَرَوِي لَبْنًا وَسَمْنًا وَسُكَّرًا. انظر اللسان (فرن).

(٦) في ج وهـ وهامش ي: اللَّيْنُ؟

(٧) سِيَّاتِي الْحَبْرِ ص ٥٩٦.

الأضداد^(١)، ويقال: شِمْتُ البرقَ إذا نظرتَ^(٢) من أيِّ ناحية يأتي، قال الأَعشى^(٣):

فقلتُ للشَّرْبِ في دُرْنَا وَقَدْ نَمَلُوا شِيمُوا وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمْلُ
وقال الفَرَزْدَقُ^(٤):

بأيدي رِجالٍ لم يَشِيمُوا سِيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتلى بها حينَ سُلِّتِ
وهذا البيتُ طريفٌ عند أصحاب المعاني، وتأويله لم يَشِيمُوا: لم يُغْمِدُوا،
«ولم تَكْثُرِ القَتلى»، أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كَثُرَتِ القَتلى^(٥) حين سُلِّتِ.

**

وحدَّثني الحسنُ بنُ رِجاءٍ قال: قَدِمَ علينا عليُّ بنُ جَبَلَةَ^(٦) إلى عَسْكَرِ الحَسَنِ
ابنِ سَهْلٍ، والمأمونُ هناك بانياً على خديجة بنتِ الحسنِ بنِ سَهْلٍ المعروفةِ
بُورَانٍ، فقال الحسنُ^(٧): ونحن إذ ذاك نُجْرِي على نَيْفٍ وسبعين ألفَ مَلَاحٍ،
وكان الحسنُ بنُ سَهْلٍ يَسْهَرُ مع المأمون، وكان المأمونُ يَتَصَبَّحُ فيجلسُ الحسنُ
للناس إلى وقتِ آنتباهه [٢/٧٢] فلما وَرَدَ عليُّ قلتُ: قد تَرَى شُغْلَ الأميرِ، قال: [١٧٤]

(١) انظر أضداد ابن الأنباري ٢٥٨ - ٢٥٩، وأضداد التوزي (مجلة المورد، المجلد ٨ العدد ٣ ص: ١٦٦).

(٢) في الأصل: إذا نظرت إليه.

(٣) ديوانه ق ٢٥/٦ ص: ٩٣. ودرا بلد باليمامة، انظر معجم البلدان ٤٥٢/٢.

(٤) البيت له في أضداد ابن الأنباري ٢٥٩، واللسان (شيم)، وهو بلا نسبة في أضداد التوزي ١٦٦، وشرح المفضليات ١٧٦، ونسبه ابن رشيق في العمدة ١٨٦/٢ لسليمان بن قتة في رثاء الحسين عليه السلام قال ويروى للفَرَزْدَقِ. ويروى «ولم يكثرُوا». ولم أجده في ديوان الفَرَزْدَقِ (ط: دار صادر). وزاده الصاوي في نشرته للديوان ١٣٩/١ عن هذا الكتاب (الكامل). وليس البيت له. واختلف في قائله ف قيل سليمان بن قتة وقيل أبو دهب، وقيل غيرهما، انظر التعليق على أبيات سليمان بن قتة ٢٨٩.

وفي الأصل «بأي رجال» وهو تحريف.

(٥) في ف وه: القتلَى بها، وفي ج: بها القتلَى.

(٦) في ي ود وج: «جبلَة» وهو تصحيف. وعليُّ بن جبلة هو المعروف بالموكوك انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٨٦٤ وأنشد له أول البيتين الآتين.

في هـ: الحسن بن رِجاء.

إذن لا أضيع معك، قلتُ: أجزَل؛ فدخلتُ على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه، فقال: ألا ترى ما نحن فيه؟ قلتُ: لستُ بمشغولٍ^(١) عن الأمر له، فقال: يُعطى عشرة آلاف درهمٍ إلى أن تتفرغ له، فأعلمتُ ذلك عليَّ بن جبلة، فقال في كلمة له:

أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ مُبْتَدِئاً عَطِيَّةً كَأَفَاتٍ مَدْحِي وَلَمْ تَرْنِي
مَا سُمْتُ بَرِّقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَةً كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالسَّجْدِوى تَبَادِرُنِي

(١) في الأصل: لست تشغل.

(٢) ي الأصل: تتفرغ له. وفي ج: أتفرغ له.